Received: 19-10-2023
Accepted: 30-04-2024
Published: June 2024

المجلة العربية، جامعة داكا
المجلد ٢٤، العدد ٢٧، يونيو ٢٠٢٣م، ص.١٠١– ١١٦
DOI: https://doi.org/10.62295/mazallah.v24i27.56

فن المقالة السعودية : تطورها و خصائصها الفنية

الدكتور محمد رفيق الإسلام *

The Art of the Saudi Essay: its Development and Artistic Characteristics

Abstract

The evolution of the literary genre, essay, spans a long historical period in Arabic literature. It is believed that essay writing began to emerge in the early Islamic eras, but the interest in studying the essay significantly increased around the year 1850 AD. Against this backdrop, this article does not aim to review all forms of essay in literature; rather, it seeks to examine the origins and evolution of the literary essay in the Saudi Arabian literary arena. This article will be segmented into seven sections: introduction, exploration of the concept of context, its types and significance, historical background, description of various essay types, examination of their technical characteristics, and ultimately, presentation of findings. This research has collected data from relevant sources and followed the descriptive and analytical methods. It is expected that, through this article, university-level students will be able to gain a comprehensive understanding of the Saudi essay and its various artistic expressions.

Keywords: Maqala, As-Saudiyyah, Development, characteristics of Maqala, history, artistic characteristics forms.

مقدمة

من المعلوم أن المقالة تشغل مساحة كبيرة في الأدب العربي. فهي المادة المحببة لدى الأدباء على مختلف نشطاتهم الأدبية، يقدمون من خلالها مشاعرهم و تصوراتهم و أفكارهم ، و يعالجون بواسطتها مشكلات الحياة الفردية و الاجتماعية و السياسية و الثقافية والدينية ، والاقتصادية وما عدا ذلك. لذلك للمقالة دور مهم في حقل الأدب العربي . فإليكم الأن أقدم تعريف المقالة كما عرفها اللغويون والأدباء.

* أستاذ مشارك، قسم العربية، جامعة داكا، بنغلاديش
rafiq@du.ac.bd

المقالة عند اللغويين

لقد صدرت تعريفات كثيرة لغوية لفنى المقالة عند اللغويين.

- في "أساس البلاغة" وردت بمعنى " المقالة": المقالة في أصل اللغة مأخوذة من القول، يقال: «رجل قؤول، ومقول: منطيق ... وسمعت مقاله، ومقالته ومقالاتهم وأقاويلهم (الزمخشري ١٩٨٤، ٥٢٨).
- وذكر في "القاموس المحيط" في معنى "المقالة": القول الكلام أو كل لفظ مدل به اللسان، والجمع أقوال وجمع الجمع أقاويل أو القول في الخير، والقال والقيل في النثر ، أو القول مصدر والقول والقال اسمان له، أو قال قولاً وقيلاً وقولة ومقالة ومقالاً فيهما (الفيروز أبادي ٢٠٠٩ م ،١١٠٤).
- ففي "لسان العرب" يقال بمعنى " المقالة " : قال يقول قولا وقيلاً وقولة ومقالاً و مقالة (ابن منظور، ١٩٦٨م، ٢٢١).

المقالة في الاصطلاح عند النقاد و الأدباء

المقالة هي قطعة نثرية محدودة الطول، وهي نصّ قصير يتناول فكرةً أو موضوعًا معينًا بشكل مختصر ومفصل. و يجمل بنا أن نذكر بعض تعريفات المقالة لمختلف النقاد و الأدباء.

- يقول الدكتور محمد بن سعد بن حسين : هي قطعة نثرية محدودة الطول تكتب بطريقة عفوية وتكون مملثة لفكر كاتبها و تكون لغتها سهلة، وأسلوبها ميسرا، ويعالج بها شأنا من شؤون المجتمع والحياة (محمد بن سعد بن حسين ، ١٩٨٤م، ٧٢).
- عرفها الدكتور محمد يوسف نجم : المقالة قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من التكلف، وشرطها الأول أن تكون تعبيرًا صادقًا عن شخصية الكاتب و تأثره (محمد يوسف نجم ، ١٩٦٦ م، ٩٥).
- وفي رأي الدكتور محمد عوض: إن المقالة الأدبية تشعرك وأنت تطالعها أن الكاتب جالس معك يتحدث إليك.. وأنه ماثل أمامك في كل فكرة وكل عبارة (أحمد أمين، ١٩٣٨م، ١٧٨).
- أما عباس محمود العقاد فيقول: "يجب أن تكون المقالة كتابا صغيرا في موضوعها لمن لا يتسع وقته للتفصيل، والمقالة تعد من حيث الموضوع كتاب صغير يتضمن على النواة التي تنبت منها الشجرة لمن يرد الانتظار" (مُحمد خليفة التونسي، ٣٠١).

- وفسّر أحمد الشايب قائلا: "في العصر الحديث تطلق المقالة على الموضوع المكتوب الذي يقدم رأيا خاصاً، وفكرة عامة أو مسألة اجتماعية أو علمية أو اقتصادية يوضحها الكاتب ويشرحها ويؤيدها بالبراهين" (أحمد الشايب، ١٩٩٨م، ٩٤).

ويمكن لنا أن نختصر تعريفات مذكورة في عبارة مؤجزة، فالمقالة هي مقال مكتوب من قبل الكاتب، والذي لا يكون طويلًا جدًا، وتكون لغتها بسيطة، وستكون أهدافها صحيحة، و أفكارها المعروضة مرتبطة بحل مشكلات اجتماعية واقتصادية وسياسية لجميع الناس.

المقالة في الغرب

- تتفق مراجع التاريخ الأدبي على أن الكاتب الفرنسي "ميشيل دي مونتين " (ل١٥٣٣–١٥٩٢)، هو رائد المقالة الحديثة في الآداب الأوروبية. هو من كتب مقالا حديثاً في القرن السادس عشر الميلادي. فقد ظهر فن المقالة لأول مرة في فرنسا سنة1571 م وقد اهتم فيها بمشاكل الاجتماعية لعصره . ولكن في البداية كانت مقالاته تخلو من العناصر الذاتية. كما بين محمد يوسف نجم في كتابه فن المقالة "إن مونتين هو الذي بذر في مقالاته بذور التراجم التي صارت فيما بعد فنا قائما بذاته له أصوله ومشتقاته" (محمد يوسف نجم، ١٩٦٦م ٣٠).
- ويعد "فرنسيس باكون" (١٥٦١–١٦٢٦) هو امام كتاب المقال في انجلترا. و مع فرنسيس قد استمر تطور المقالة في أوروبا على أيدي الكتاب منذ القرن السابع عشر اشهرمنهم: إبراهام كاولي" (١٦١٨–١٦٦٧) و "دريدن" (١٦٣١– ١٧٠٠).
- وفي القرن الثامن عشر ابتدأت المقالة نوعا أدبيا قائما بذاته، بلغ المقال من التطور مبلغا كبيرا، يشتمل فيه الكتاب مظاهر الحياة في مجتمعه بالنقد والتحليل و التفصيل، وقد ساعد تطور الصحافة على تنمية هذا العنصر الأدبي، و ظهر فيه عنصر جديد وهوعنصر السخرية والفكاهة ، وإن كانت الشوقة في الإصلاح هي المقصد الأساسي لهذا الفن الجديد. ومن أبرز الذين لعبوا دورًا مهمًا في هذا الصدد هم "ريتشارد ستيب" (١٨٧٧–١٩٣٩)، و "جوزيف اديسون" (١٦٧٢–١٧١٩) و "دانييل "ديفو "(١٦٦٠– ١٧٣١) و "جوناثان سويفت (١٦٦٧–١٧٤٥) و "أوليفر جولد سميت."(١٧٣٠ – ١٧٧٤م) و غير ذلك.

- وفي القرن التاسع عشر، اتسعت نطاق المقالة بشتى المجلات خاصة تشمل نواحي الحياة كلها، ومع ذلك ظهرت شخصية الكاتب . ومن كان لهم دور كبير هناك هم: "شارل "لامب" (١٩٣٧– ٢٠٠٠م) و "وليم هازليت" (١٧٧٨–١٨٣٠م) و"لي هنت"، ودي" كونسي"(١٧٨٥–١٨٥٩م)، وصارت كل قطعة نثرية تعتبر مقالا، سواء كان بحثا علميا قصيرا أو قطعة أدبية فنية. (محمد يوسف نجم، ١٩٦٦م، ٣٠).
- ومع بداية القرن العشرين تأثر المقال بأمرين هما: الميل إلى النزعة العلمية، ورواج الأقصوصة.

المقالة عند العرب

المقال موضوع مألوف وقديم عند العرب. توجد أنماط ممارسة المقال في الأدب العربي القديم. منذ متى أصبح الأدب المقالي متاحا للعرب؟ يقدم خلاصتها في التالية

- في عام ١٨٨٥، كتب الأديب الفرنسي مونتين أول مقال في العالم في كتابه "المحولات".
- لكن العالم والأديب البغدادي أبو الفرج بن الجوزي سبق مونتين في كتابة المقالة بعدة قرون في كتابه صيد الخاطر الذي يتضمن قطعاً نثرية قصيرة تدور حول شؤون الحياة والمجتمع والدين وهموم النفس (د. علي جواد الطاهر، ٢٠٠٧ م،١٠).
- وفي العهد النبوي والخلفاء الراشدين استعملت الرسالة وسيلة للتواصل فيما بينهم. وظهرت بذور المقالة في عدد من الآثار الأدبية القديمة
- وظهرت الفكرة المقالة في عدد من الكتب الأدبية القديمة وفي العصر الأموي تحسب الرسائل الديوانية والإخوانية مثال لهذا الفن. يقول محمد يوسف نجم: " قد ظهرت بذور المقالة في الأدب العربي في القرن الثاني للهجرة وتعد أحسن" (محمد يوسف نجم، ١٩٦٦، ١٣).
- وفي العصر العباسي ظهر ابن المقفع وتفوق في فن المقالة ، و ممن أسهموا في تطور هذا الفن منهم أبي الفضل محمد بن العميد، وأبي منصور الثعالبي، الصاحب بن عباد، وبديع الزمان، وأبي حيان التوحيدي رسائلهم بالقرب من المقالة الفلسفية العلمية. و أشار د.عبد العزيز شرف إلى أن: "قبل ظهور مقالات مونتين الفرنسي وبيكون الانجليزي عرف فن المقالة عند العرب تحت مسميات أو موضوعات شتى مثل: الفصول، والرسائل، والمقالات وغيرها (د. عبد العزيز شرف، ٢٠٠٠م، ٧١).

- وفي العصر الحديث، في بداية القرن التاسع عشر الميلادي ظهرت المقالة في الأدب العربي. وكان اسلوبها في تلك الفترة "مليئا بالصنعة والبديع المتكلف كما كان موضوعها يتصل بالموضوعات الرسمية لشؤون الدولة وتنظيمها" (محمد السيد الحديدي عبد اللطيف، ٢٠٠٣ م، ١١٩).
- وفي هذا الزمان اتخذ الأدباء والكتاب الصحف والمجلات طريقة لنشر أفكارهم كجريدة (وادي النيل) و (جريدة الأهرام) و (جريدة مصر) و (جريدة العروة الوثقى)، واهتم بقضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية. ومن أشهر الكتاب في هذه الحقبة : ومصطفى لطفي المنفلوطي، إبراهيم اليازجي، محمد عبده، رفاعة الطهطاوي ، جمال الدين الأفغاني، وجرجي زيدان و غير ذلك.
- أخيرا يقال أن المقال كلفظة "ليست غريبة على اللغة العربية، ولكنها من حيث دلالتها الفنية توقع رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ – ١٨٧٣) مبتكر لفن المقالة في بلاد العربي. فأشار د. جان كرم إلى أن تعود المقالات الأدبية الأولى إلى عبد الحميد الكاتب ثم إلى الجاحظ عند العرب، أما في عهد احتلال الانجليز لمصر قد ظهرت من حيث دلالتها الفنّية وفي شكلها الحديث عند خليل مطران ، ومصطفى كامل، سليم سركيس، ومحمد رشيد، وبعد هؤلاء قد قام سليم النقاش، رفاعة الطهطاوى، وسعيد البستاني، وعبد الله أبو سعود، وأديب اسحاق بخطوات أولية في هذا المجال (كرم، د. جان، ١٩٨٦م، ٢٦).

فمن المناقشة السابقة وضح لنا كضوء الشمس أن المقالة الأدبية كانت موجودة عند العرب قبل الغرب.

المقالة السعودية

ترسخ الكاتبون على أن المقالة في الأدب العربي السعودي قبل توحيد المملكة العربية السعودية عن ثلاثة أطوار. منها

- المقالة في العهد العثماني
- والمقالة في العهد الهاشمي
- المقالة في العهد السعودي (الدكتور محمد صالح الشنطي، ١٩٩٧م، ٦١١)

أصناف المقالة ومجالاتها في الأدب السعودي

هذا ليس من اليسير تحديد موضوع المقالة. فهي متنوعة تنوع التجارب الانسانية ، متفرقة بتفرقة شخصيات الكتاب، فلكل كاتب من الكتاب ، صورة متميزة و مختلفة بألوانها وخطوطها . ولقد تحدث العديد من الكتاب عن أنواع المقالة السعودية بأشكال مختلفة .

كما قال أحد الباحثين في ذلك بأن التمييز بين أنواع المقالات مهمة شاقة عسيرة ، وإن ارتضيناه لأنفسنا تسهيلاً للبحث فإن طبيعة هذا الفن الأدبي لا تقره ولا توافق عليه حيث إن بعض المقالات قد تجمع أطرافاً أو أشتاتاً (محمد يوسف نجم، ١٩٦٦م، ١٣٤).

و الدكتور بكري شيخ أمين قسم المقالة في الأدب السعودي إلى مقالة دينية، فمقالة أدبية، فمقالة نقدية، فاجتماعية، فسياسية، فاقتصادية ، ثم يأتي في آخر القائمة مقالات ذات موضوعات متفرقة (الدكتور بكري شيخ أمين، ١٩٨٤م، ٥٣١).

و قال محمد العوين: يمكن حصر مناحي المقالة في الأعم الأغلب في ألوان أربعة هي: المقالة الذاتية ، والاجتماعية، والنقدية، والوصفية ثم أراد إلى تقديم أمثلة لعدد من المقالات المختلفة غير الألوان المذكورة ، فعرض للمقالة الدينية، والمقالة السياسية ، والمقالة العلمية والمقالة الفلسفية ، ثم تكلم عن الخاطرة والرسالة ، وأخيراً ذكر عدة ألوان من المقالة تحت عنوان مقالات أخرى كالمقالة الرمزية الساخرة، وكذلك المقالة القصصية (د. محمد بن عبد الله العوين ،٢٠١١م، ج١، ١٠٦–١٥٩).

بناء على الدراسة السابقة سأحاول تقسيم المقالة السعودية كما بدت على اقلام أشهر كتابها و هي أولا نوعان (عبد اللطيف محمد السيد الحديدي، ١٩٩٦م، ٢٨) و هما:

١. المقالة الذاتية

٢. والمقالة الموضوعية.

وهذان النوعان لهما أنواع مختلفة، و هي في التالية.

المقالة الأدبية أو الذاتية و أقسامها في الأدب السعودي

المقالة الأدبية تتناول موضوعًا أدبيًا وفنيًا، وتسلط الضوء على القيم الجمالية والفنية، وتركز على الخيال والتسلسل وتنظيم الأفكار، مع تجنب استخدام الكلمات الغريبة وغير المفهومة.

والمقالة الأدبية عند محمد نجم بأنها "قطعة أدبية نثرية محدودة في طولها وموضوعها، تكتب بلغة سهلة مفهومة مؤثرة بعيدة عن التكلف والتعقيد، وهي تعبير صادق عن الكاتب وأحاسيسه" (يوسف نجم، ١٩٦٦م، ٩٥). المقالة الأدبية تتعامل مع مجموعة متنوعة من الظواهر الأدبية والمشكلات التي تنطوي على الأدب والفن والتاريخ والجوانب الاجتماعية.

المقالة الذاتية هي التى تعبر عن مشاعر الكاتب واحاسيسه تجاه مشهد من المشاهد، أو حدث من الأحداث، أو قضية من القضايا، وتعكس بوضوح رؤية كاتبها الموضوع الذي تتناوله المقالة (د. محمد جلاء إدريس، ٢٠٠٦م، ٢٦٨).

وهي المقالة التي تغير بالدرجة الأولى عن نفس صاحبها ومكنون خاطره، وموقفه الشخصي مما يحيط به من قضايا سواء كانت تلك القضايا أدبية أو مشكلة من مشكلات الحياة الأخرى المتعلقة بذات الإنسان بالدرجة الأولى فهي تكتب لتوفر قيمة أدبية خاصة أي أن كاتبها كان يصطنع النثر الفني وسيلة للتعبير عن إحساسه بالحياة وتجربته فيها. يصطنع النثر الفني وسيلة للتعبير عن إحساسه بالحياة وتجربته فيها (د. محمد يوسف نجم ، ص ٩٨).

يجب على كاتب المقالة الأدبية أن يبتعد من الاطالة و التشريح والتفاصيل الدقيقة والأخطاء اللغوية والنحوية والتعبيرية، وينبغي أن يتعامل بلغة سليمة ممتعة والعبارات جزلة والكلمات موحية وألفاظ مناسبة، ويركز على وضوح الفكرة وعمقها و يتوقف على التصوير الفني والخيال الرائع.

وتشمل المقالة الذاتية أنواعا متنوعة، منها

المقالة الاجتماعية

هي هذا اللون الذي يتعامل مع حلول مشكلات المجتمع، ويسعى وضع الحلول المناسبة لها، أو القضاء على ما تعطل من عادات المجتمع وتقاليده. و هي تلك التي يعالج فيها كاتبها أدواء المجتمع وأمراضه، مثل الجهل والفقر والعادات والتقاليد، و سوء الأخلاق، ثم نادت إلى إقامة المشاريع النافعة، و الحفاظ عن فقدان الأخلاق ، وتحفيز من عنده رغبات لإنشاء مؤسسة إنتاجية، في الزراعة، و التجارة ، و الصناعة ، أو التعليم، و الحضارة العربية ، والحج و التعليم و ضرورة تطوير والتجديد و تعليم الفتاة، والتثقيف عن طريق المسرح. و كذلك شجعوا الطيران و اصلاح الاقتصاد و توطين البائدة (الدكتور محمد صالح الشنطي، ١٩٩٧م، ٦٢٥). وقد أظهر العديد من كتاب المقالة الاجتماعية في الأدب السعودي الحديث، ومن هؤلاء: صالح محمد جمال، وعبد الله الخطيب، وعبد الله جفري، ومحمد حسن عواد، وأحمد السباعي وعبد الله بن خميس، عبد الكريم جهيمان وغيرهم.

المقالة السياسية

هي التي توضح توضيحا مباشراً عن أحاسيس الكاتب ومشاعره عن وطنه، والتي تشتعل في ذات الوقت حماس الشعب وتحرك فيه الروح الوطنية، وقد تسمى أحياناً بالمقالة الوطنية)، وليس

بالضرورة أن تتعلق هذه المقالة باحتلال الوطن ومقاومة المستعمر فقط، بل تشمل كذلك الحديث في الأمور السياسية المختلفة. مثلا: نظام الحكم، وصلاح أحوال الرعية، وعرض برامج الأحزاب السياسية وصلاح الحاكم أو فساده... و غير ذلك. في الوقت الراهن، فقد اسهم الكثيرون فى الإدلاء بدلوهم في القضايا السياسية: محلية وقومية ، داخلية وعالمية، ففي كل صحيفة توجد كتابة للمقال السياسي ليسوا من آل الشيخ أو من أعضاء الهيئة الكبار العلماء أو الحكومة (عبد اللطيف الحديدي، ص ٣٥– ٣٦).

وأشهر الكتاب على هذا الفن هم : عبد الله آل شيخ، أحمد عبد الغفور عطار، محمد أحمد باشميل ، جميل حجيلان، وعبد الله فراج و غيرهم (الدكتور بكري شيخ أمين، ٥٤٤).

المقالة الدينية

هي التي تتحدث عن شئون الدين وتتصل به اتصالاً وثيقاً وقد ازدهرت في الأدب العربي الحديث واعتمدت أشكالاً عديدة منها الأعتقاد أو العبادات ، أو المعاملات أو الآداب العامة ، شرح الدين الإسلامي، والدفاع عنه ضد خصومه، ومحاربة المذاهب الهدامة، وعلاج بعض المظاهر السيئة في المجتمعات على ضوء الدين . و أول ما نمت المقالة الدينية في مصر وازدهرت حين صدرت بعض المجلات الدينية المتخصصة ، مثل نور الإسلام، و مجلة الأزهر والهدى النبوي و غير ذلك. و أشهر كاتبها : حسن عبد الله آل الشيخ، وأحمد عبد الغفور عطار، عبد الله فراج الشريف ، حسن عبد الله آل شيخ و غيرهم (الدكتور بكري شيخ أمين، ٥٣٢).

المقالة الوصفية

بين الباحثون أن هذه المقالة تدور على الوصف، سواء كان وصفاً لأحد مشاهد الطبيعة، أو وصفاً لانعكاسات الحياة في نفس الكاتب، أو وصفاً لعالم جديد لم يسبق للكاتب أن يعيش فيه (محمد جلاء إدريس،٢٠٠٦م، ص ٢٨٤).

و المقالة الوصفية تنقسم إلى ثلاثة اقسام

- الوصفية الطبيعية: وفيها يرسم الكاتب البيئة المكانية التي يسكن فيها، كما يشعرها بعينه وحسه وعقله.
- الوصفية الذاتية، وهي التي يبين من خلالها الكاتب عن خبرته الخاصة. فيتجه بالوصف إلى انعكاسات الحياة وأحداثها في نفسه، وهي من هذا القبيل تحسب ضرباً من الحديث الشخصي الأليف القائم على الثرثرة والمسامرة والاعتراف والبوح والفكاهة المثائقة والذكاء المتوقد والسخرية الناقدة.

- الوصفية الخارجية وهى التى يصوغ فيها الكاتب تأثره بأرض جديدة لم يألفه ووصف ما ينعكس عليه مما شاهده في هذا العالم الجديد من كائنات ومشاهد طبيعية وأحداث (د. محمد جلاء إدريس، ٢٠٠٦م ، ٢٨٦)

من أجل عدم زيادة جودة المقالة، لم يبين تفصيل للمقالات التالية وهي

- المقالة العاطفية
- المقالة الوحدنية
- المقالة التأملية
- المقالة الثقافية

الخصائص الفنية للمقالة الذاتية

هناك يوجد بعض الخصائص الفنية للمقالة الذاتية منها

١. الحلاوة و السهولة

لم يكتب الكتّاب الذاتيون يلجأون إلى الألفاظ الشدة أو الحوشية أو الغريبة ليصوروا بها معانيهم. روعة اللفظ تتناسب مع رقة المعنى، حيث لا يختارون اللفظ القوي إلا لمعنى يحمل قوة، ويتجنبون اللفظ السلس السهل إلا لتعبير عن معنى سهل ينسجم مع النفس. الإبداع لا يتحقق إلا من خلال انتظام الكلمة واستقامة الأسلوب. اللفظ وحده ليس له معنى خاصًا، ولكن يفضل اختيار كل لفظ للجنس الذي يحتويه. (د. محمد بن عبد الله العوين ،٢٠١١م، ٣٤٣) وفي هذا السياق، يتفق هذا المعنى مع ما أراده ابن الأثير حينما قال: " إعلم أن الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر، فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، العبارات العذبة تتخيل كأشخاص ذوي دمائة وكريم أخلاق، ولطافة مزاج (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر القاهرة، ١٣١٢هـ، ص ٦٩).

٢. الابتعاد عن منهج الكتابة العلمي

التحديد العلمي الدقيق الذي ينطوي عليه اللفظ العلمي يتعارض مع توسع دائرة الخيال وتنوع التصوير الذين يرافقان الكاتب ذا الشعور الشعري الراقي. إنهم من يكتبون المقالات الأدبية الذاتية التي تحلق في أفق الوهم الواسع.

لو نظرت في المقالات الأدبية الذاتية في الأدب السعودي، نجد أن معظم الكتّاب لا يسعون إلى بناء أسلوبهم إلا باستخدام اللفظ السهل الذي يثير التفاعل، والعبارة الرشيقة الموسيقية، في حين

يتجنبون اللفظ الخشن والصعب والحوشي. لا يلتفتون إلى المصطلحات العلمية أو المفاهيم العلمية، لأن ذلك يقيّدهم ويقيّد تصوّراتهم ويحد من امتداد رؤيتهم لأمد أقصر، مما يقترب من قرب المفهوم العلمي من الذهن عند إطلاق اللفظة التي تحدد المفهوم. (د. محمد بن عبد الله العوين ،٢٠١١م، ٣٤٣).

٣. الخيال الخصيب

ويقتبس الكتّاب الذاتيون من رحابة أحلامهم القدرة لتَحْويل تلك الأحلام إلى لوحة فنية زاهية الألوان، مستعينين بآفاق الكون الواسعة، وموهبة التفكير الخصبة، والقدرة على التصور. فلا يشكل الواقع ضيقًا عليهم، بل يهربون منه إلى رحاب الطبيعة، وإلى الجانب البعيد الذي يمتد بامتداد أحلامهم وآمالهم. ويصنع الكاتب الذاتي الرومانسي من أنفسه مناجاة معزية، فيهرب مما حوله إليها، ويمنيها، ويصنع أمامها الأطياف العذبة، وينشئ لها القصور الرائعة.

فتجتمع لديه قدرة التفكير المقتدرة على نقش ما يتحرك بالذهن من أفكار متنوعة وأشجان وأوهام، وقدرة الإحساس المفرط الواقعة في الحياة، والمحبة في صنيع أنماط جديدة و حديثة من السلوك، وتغيير كثير من المفهومات، ونقد ألوان عديدة من ضروب القول في المعتقد و الموروث و القيم (د. محمد بن عبد الله العوين،٢٠١١م، ٣٤٤).

٤. العرض البياني

أكثر الكاتبين يستعينون بأدوات تساعد على جلاء الصورة وإبانتها في رسم صورهم. . وتشمل هذه الأدوات التشبيه والاستعارة، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والإنشاء والخبر، وغيرها من وسائل تكشف المعنى وتبينه وتقدمه في هالة من الجمال والإمتاع.

في المقالات الذاتية، يلجأ الكتّاب إلى أدواتٍ متعددة لتصوير (د. محمد بن عبد الله العوين،٢٠١١م، ٣٤٤) معانيهم ونقل تجاربهم الشخصية. من أهمّ هذه الأدوات:رسم لوحة فنية غنية بالألوان والخطوط والمعالم. استخدام أدوات التصوير وبناء الحدث. فمن الذين اشتهروا في هذا المجال منهم: محمد حسن فقي، حمزة شحاته، عزيز ضياء و غيرهم (د. محمد بن عبد الله العوين،٢٠١١م، ٣٤٦).

٥. المحسنات اللفظية

يعتمد كتاب المقالة الذاتية أحياناً إلى زخرفة أساليبهم ببعض المحسنات اللفظية والمعنوية، لإظهار الجمال والبهاء عليها. لم تنتشر ظاهرة الإِسراف في أدب المقالة السعودية بعد النهضة في منتصف

القرن الماضي إسرافاً من قبل الكتّاب في استخدام المحسنات، أو لجوءهم إلى البناء البديعية التي تُخلّ بقالب النص.

إنما كان استخدامهم لهذه المحسنات مقصودًا به التزيين والإمتاع اللفظي، وإضافة الإضاءة الموسيقية والإيقاعية للنص.

ومن الأمثلة على ذلك:

- الجناس : مثل قول أبي عبد الرحمن بن عقيل: "إذن لن تخلو البلاد من مليح يعشق، ولكن ربما خلا القلب من عشق المليح .وقول حمزة شحاته" :فمتى يعتنق التراب بالتراب."
- الطباق: مثل قول حمزة : "أعشق فيها العداء والصداقة، والحب والبغضاء، والفوز والحلو والفشل المؤلم، والمادة والروح" (د. محمد بن عبد الله العوين ،٢٠١١م، ٣٤٨).

تظهر هذه المحسنات في المقالة الذاتية بشكل طبيعي، دون تكلف أو صناعة .فالتكلف يُفسد الأسلوب ويُضعف تأثيره ويجعله ثقيلًا على القارئ.

كما سبق ذكره، تميل المقالة الذاتية إلى السهولة والوضوح في طرح المعنى والفكرة .وتسعى للتعبير عن ذلك بأبسط الطرق وأقربها إلى الذهن وأبعدها عن التكلف والتعقيد.

فالمقالة الذاتية ليست ساحة لعرض المهارات اللغوية أو البلاغية .بل هي مساحة للتعبير عن الذات ومشاركة تجاربها وأفكارها مع الآخرين.

المقالة الموضوعية و أقسامها في الأدب السعودي

هى التى يكون بين كاتبها ومحتواها صلة موضوعية فتكون شخصية الكاتب فيها متوارية وراء موضوعه واهتمام الكاتب يوجه فيها لم إلى الموضوع والفكرة، حيث يرى أن وضوح الموضوع وشرح الأفكار في جمل وعبارات سلسلة، يرضى عقل القارئ وفكره، ويمتع مشاعره وأحاسيسه. (عطاء كفافى المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث هجر للطباعة والنشر. القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٥٨).

وتشتمل المقالة الموضوعية أنواعاً منها :

المقالة الفكرية

وهي المقالة التي تقدم لشئون الفكر بالبحث والتحليل، والتفسير والتعليل، فهي تقوم بالدرجة الأولى على تفكير الكاتب. ويتطلب مثل هذا اللون من كاتبه أن يكون ملماً بموضوعه إلماماً مبنياً على الفهم والإقناع وأن ينظم أفكاره وينسق بينها، ولابد للكاتب هنا أن يعرض موضوعة بتمام ووضوح .عبد اللطيف الحديدي مرجع سبق ذكره، ص٥٥ – ٥٦ ٤٠ و أشهر منهم: أبو عبد الرحمن عقيل الظاهري ، عبد الرحمن محمد المقيل وغيرهم.

المقالة النقدية

المقالة الأدبية النقدية بأنها تلك التي يجتهد بها صانعها إلى إجهاررؤياه في مادة أدبية أو ما يقبله عذبه أو يمجه في نص إنشائي، فذلك لا يخرج عن طبيعته العضوية وعاطفته الحماسة، مصوراً ذلك في أسلوب فني وافر لا يمنعه إقلال الحقائق العلمية أحياناً، ولا يطيل الوقوف عند ما يتطلبه النقد من فهم عميق ونظرة ثاقبة إلى الذات (د. محمد بن عبد الله العوين ،٢٠١١م، ١٠٩).

تتناول المقالة موضوع الأدب والفن من خلال التوازن والتقسيم. وتسعى للإيضاح أنها ليست مقتصرة – كما يعتقد البعض – على القضايا الأدبية التقليدية. إنها لا تقوم بتحديد الحدود أو توضيح المفاهيم للمسائل المتعددة ضمن إطار الدراسات الأدبية. وهي ليست حتى مقتصرة على إظهار مزايا الأعمال الأدبية الجيدة واستقراء نقائص الأعمال الأدبية الضعيفة.

إذا نظرنا إلى المقالة الأدبية النقدية لكبار الأدباء السعوديين في منتصف القرن العشرين، نجد أنها كانت تتسم بطابع حاد، حيث يبدأ الناقد فيها بانتقاد الأفكار والآراء، وقد يصل إلى الانتقاد الشخصي والشتم في بعض الحالات. اعتمدت الصحف آنذاك هذا الأسلوب التعبيري، معتقدة أنه يخدم الفكر. ولكن إذا نظرنا إلى الحالة الحالية للمقالة النقدية، نجد أنها قد شهدت تطورًا كبيرًا. أصبح النقد الأدبي اليوم علمًا يُدرس في الجامعات، ولم يعد المقال النقدي يقتصر على رأي الناقد وتذوقه الشخصي. بل يتطلب الأمر اعتماد معايير موضوعية لنقد الأعمال الأدبية (د. محمد جلاء إدريس، ٢٠٠٦م ،٣٠٧).

و اشهر منهم: حسن محمد الزهراوي، عواض العصيمي و على حسن الزهراوي و غير ذلك. وهناك بعض أقسام من المقالة الموضوعية مثلا : المقالة العلمية ، المقالة الفلسفية ، المقالة الصحفية و المقالة التاريخية.

الخصائص الفنية للمقالة الوصفية

تتمتع المقالة الوصفية بمجموعة من الخصائص الفنية التي تميزها عن غيرها من أنواع المقالات، وتشمل هذه الخصائص في الذيل

١. تخطيط اللوحة

المقصود بهذه الميزة أن المصنف الوصفي لا يرضيه مجرد سرد ملامح الجمال و البهاء في المشهد، بل يجب عليه أن يُبرز تلك المحاسن ويُظهر أوجه الإعجاب فيها. يجب على الكاتب الوصفي أن يُجلي تلك المحاسن من خلال :وصف الحركة والأصوات والألوان، وصف ما يحيط بها من بواعث المسرة والابتهاج (د. محمد بن عبد الله العوين ،٢٠١١م، ٣٩٦).

٢. اتمام التفاصيل

يتم ذلك باستخدام خصائص الصورة القريبة والبعيدة، وتقريب النافر منها، والتأكيد عليه بالأعادة، وتلتحق الأجزاء الصغيرة بالإيضاح والشرح و التفصيل، وترادف العبارات المختلفة، والبداية بالجملة الفعلية لزيادة الشرح و الإيضاح في قوة المشهد الذي ينزل به الفعل حين يضفي أثره في الوصف.

ومن الأمثلة على ذلك ما وفق إليه حمزة شحاته من جلاء ذاته حين تأكد المعنى العام الذي أوحت به المقالة في وصف قنوطه ويأسه، والمعنى المدقق الخاص الذي تفضي به جميع كلمات في الجملة (د. محمد بن عبد الله العوين ،٢٠١١م، ٣٩٨).

٣. الصورة البيانية

المقصود بهذه الميزة الكاتب الوصفي ينأى بنفسه عن الواقع، ويسعى للتأثير على قارئه من خلال المبالغة والتهويل، فيستخدم التشبيه لتوضيح الصورة، وقد يحذف أداة التشبيه ويترك ما يدل على المعنى الأصلي، وهذا هو ما يسمى بالاستعارة، وهي من أعلى درجات المجاز، وأكثرها إغراقًا في الخيال، حيث يتم ربط المشبه به بالمشبه لبيان صفة معينة، سواء كانت تهويلًا أو مديحًا أو تفخيمًا أو غير ذلك.

و يوجد ضعفًا في استخدام المجاز في لوحات المحدثين البيانية، حيث لا يظهر الوضوح المطلوب في الصورة، بل يتداخل الحقيقة مع المجاز، ويتجاوز الكتاب حدود الواقعية في صياغة الصور التي تتجاوز الخيال وتبتعد عن المنطق، وأحيانًا تقترب من الإحالة، كما يمكن رؤيته في بعض مقالات عبدالله الجفري وصور عبدالله مناع.

ومن هذه الإشارات يمكن التعرف على عدد من المجازات التي أضفت، على ما يبدو، نعومة وجمالاً للنصوص المقالية. من بين هذه الصور، تشبيه مياه الينبوع الجارية بانسيابها المستقيم بعمود يتمدد من عمق الأرض، وتشبيه الحقل في وسط الصحراء بالحب النقي في قلب طاهر، وتشبيه الأطفال بالعصافير، وتشبيه هروبهم الخفيف والسريع بالطيور المسرعة.

تتميز هذه الصور الأكثر بعمقها وغزارة تفاصيلها، وصدق معناها، والاهتمام الشديد بتفاصيلها. عندما حاول عبد القدوس الأنصاري رسم لوحة تصويرية لتلك الليلة المطرة، قدّم صورًا تظهر ضجيج الرعد وتجمّد السحب، ووميض البرق، واندفاع الأمطار، وصوت الرياح وهي تدفع بالسحب بينما تهرب بخوف ورعب (د. محمد بن عبد الله العوين ،٢٠١١م، ٣٩٨-٤٠١).

٤. المحسنات الأسلوبية

توجد المحسنات الأسلوبية المتوفرة في تصنيفات الشعراء السعوديين مثلا الشاعر حسين سرحان استعمل التحسين من باب التشابه في اللفظة، مما يعرف بـالجناس كقول الشاعر: وكنا نعبث ما حلا لنا العبث (مقالة: الطائف ص: ١٠) وقول عبد القدوس الأنصاري " فتبدو سماء من تحت السماء (ذكرى اليوم المطير والسيل الخطير) . ، وقول حمزة شحاته "يكذب بعضه على بعضه "، وقول عبد الله بن خميس : ... وبح بما لديك فكلنا بائح (مقالة فلسفة حب) (د. محمد بن عبد الله العوين ،٢٠١١م، –٤٠٢ ٤٦)

يوجد استعمال الطباق في مقالات الشعراء كثيرة. والطباق هو أحد أهم المحسنات البديعية، حيث يُضفي على اللغة العربية جمالًا فريدًا من خلال التضاد في المعنى أو اختلاف اللفظ . فمن قول حسين السرحان: "كنا كالعصافير تنطلق من أوكارها خماصا فتعود بطانًا" (الطائف في ذكرياتي).وقول ابن خميس: "آه ما أظلم هذا الفوقوهذا التحت".وفي اختلاف اللفظ: قول شحاته عن صديقه القنديل: وظاهره على باطنه (مقالة أستاذ).

والازدواج، وهو تكرار الجمل وتقاربها إيقاعاً وبناؤها، يجعل الأسلوب متناغماً ومتوازناً، كما ورد في وصف الشمس من قبل الرفاعي: "وطفقت تستحم، وانبهرت العيون، وتلاحقت الأنفاس وغمغم الموج، وانتشرت غدائرها الذهبية". وقد برز عبد الله بن خميس بأسلوبه المتميز بهذا الازدواج والتوازن، خاصة في مقالاته الشخصية أو الوصفية، حيث يميل إلى استخدام الجمل القصيرة المؤثرة، التي لا تتجاوز أربع كلمات: "فكلم رفيق درب طليح حب، وبح بما لديك، فكلنا بائح (فلسفة الحب) (د. محمد بن عبد الله العوين ،٢٠١١ م، ٤٠٢ — ٤٧).

ويزخرف بعض الكُتاب أسلوبهم باللجوء إلى الاقتباسات من القرآن الكريم أو من المأثورات في كلام العرب، كما في اقتباس عبدالله عريف من القرآن في قوله : "ولكنه أخرج يده – بيضاء من غير سوء". وأيضًا، استخدم طاهر زمخشري اقتباسًا من القرآن في قوله: "لقد كان يسهل على نفسي الأمارة بالسوء أن أتحدث عن...". وكذلك، اعتمد أحمد السباعي على اقتباس من القرآن في قوله: "لا تأس علي يا صاحبي، وإذا كنت قد تعشقني فلا تذهب نفسك حسرات على ما حرمني الله من سعة الذهن. (مقالة: أمام الحواجز، سباعيات تهامة ط ١، ١٤٠٣ هـ ، جـ ٢، ص ٨٢ اقتبس من الآية الكريمة: الثالثة والخمسون.فلا تذهب نفسك عليهم حسرات). سورة فاطر، الآية ٨) (د. محمد بن عبد الله العوين ،٢٠١١م، ٤٠٣ – ٤٨) بهذه الطريقة، اعتمد الكُتّاب على الأسلوب الفني في مقالاتهم، مما جعلها تنال شهرة أكبر وتُقرأ أمام الجماهير بشكل أكثر.

وفي الختام

بعد استعراض هذه المقالة في الأدب السعودي الحديث، يُمكننا أن نُلخص بعض الملاحظات على النحو التالي:

- تعالج المقالة القضايا السياسية والاجتماعية والفكرية.
- تدور المقالة السعودية حول فكرة واحدة وتستخدم عبارات بسيطة لايصال المعنى الى المتلقي.
- تستعين بقوة الأسلوب وحيوية الأفكار ودقتها، ومتانة الجمل، وروعتها. يوجد الانسجام والترابط والتماسك في الأفكار والحقائق بشكل منطقي والأسلوب تستخدم اللغة الواضحة والطريقة المباشرة عند عرض الفكرة.
- تحتوي على المعلومات والحقائق والشواهد والأدلة والبراهين من الناحية الفكرية والثقافية.
- تستعين بالشواهد والبراهين التي تؤيد الفكرة.
- تجتنب عن الإطالة والتفصيل وعن الألفاظ غير المفهومة أو الغريبة.
- تبتعد عن التكرار في عرض الأفكار، وصور الأدبية، والمجاز، ومن محسنات لفظية أو بديعية .

المصادر والمراجع

١. الزمخشري، جار الله أبو القاسم بن محمود، ١٩٨٤م . *أساس البلاغة*، ج . بيروت: دار الكتب العلمية.

٢. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ، ٢٠٠٩م ، القاموس المحيط ، لبنان: دار المعرفة.

٣. ابن منظور، جمال الدين، ١٩٦٨م . *لسان العرب*، بيروت: دار صادر.

٤. حسين ، د. محمد بن سعد ، ١٩٨٤م ، *الأدب الحديث – تاريخ و دراسات* ، الرياض : مطابع الفرزدق .

٥. نجم، محمد يوسف، ١٩٦٦م. *فن المقالة*، لبنان: دار الثقافة.

٦. أمين، أحمد، ١٩٣٨م. *فيض الخاطر*، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

٧. ضيف، شوقي، ١٩٩٢م. *الأدب العربي المعاصر في مصر*، القاهرة : دارالمعارف.

٨. خليفة التونسي، مُحمد، ١٩٥٥م. *فصول من النقد عند العقاد*، مصر: مكتبة الخانجيز.

٩. الشايب، أحمد، ١٩٩٨م، *الأسلوب*، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

١٠. الطاهر، د. علي جواد، ٢٠٠٧م، *جماليات المقالة*، عراق: مطبعة اتحاد الادباء العراقيين.

١١. شرف، د. عبد العزيز، ٢٠٠٠م، *فن المقال الصحفي*، قاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

١٢. عبد اللطيف، محمد السيد الحديدي،٢٠٠٣م، *فن المقالة في ضوء النقد الأدبي*، مصر: الدار الإسلامية للطباعة والنشر.

١٣. كرم، د. جان، ١٩٨٦م، مدخل إلى لغة الإعلام، بيروت: دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع.

١٤. الشنطي، الدكتور محمد صالح، ١٩٩٧م، *في الأدب العربي السعودي الحديث و فنونه و اتجاهاته ونماذج منه*، حائل: دار الأندلس للنشر و التوزيع.

١٥. أمين، الدكتور بكري شيخ ، ١٩٨٤م، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، الرياض: دار العلم للملايين.

١٦. العوين، د. محمد بن عبد الله، ٢٠١١م، المقالة في الأدب السعودي الحديث من سنة ١٣٤٣هـ إلى سنة ١٤٠٠هـ ، الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع.

١٧. (الحديدي، عبد اللطيف من السيد، ٢٠٠٢م، من المقال في ضوء النقد الأدبي، دن ط٢، ٢٠٠٢م ص ٢٨.

١٨. إدريس ، د. محمد جلاء، ٢٠٠٦م، الأدب السعودى الحديث، نجران: مكتبة الرشد نابروت، ص ٢٦٨).